د. مظهر محمد صالح *: ركود الاجور في الاقتصادات الرأسمالية المركزية.

١- مقدمة: احتكار قلة الشراء وسوق العمل.

ا- أشارت التفسيرات الاقتصادية حتى وقت قريب عن وجود سببين رئيسيين يفسران ظاهرة الركود الطويل في الاجور Wage Stagnation وهما العولمة والأتمتة. فبالرغم من ذلك فقد جاءت الأبحاث الحديثة لتظهر أن تركز اصحاب العمل او ما يسمى باحتكار قلة الشراء لأصحاب العمل monopsony هو السبب الثالث أيضًا في الركود الطويل للأجور.

ففي دراسة مهمة نشرتها مدرسة Kellog للإدارة في جامعة نورث ويسترن الامريكية Northwestern University بتاريخ Dec 19 ,2019 تحت عنوان: What's causing wage stagnation in America ? قدم فيها مجموعة من الباحثين تحليلاً منهجياً أظهر فيه كيف ان القوى العاملة تصارع ركود الاجور منذ عقود زمنية طويلة. فمنذ سبعينيات القرن الماضي بات النمو في الاجر الحقيقي (قيمة الدولارات المدفوعة للعاملين المعدلة بالتضخم) اكثر بطئا مقارنة بالإنتاجية الاقتصادية بصورتها الاجمالية. اذ جاءت بحوث الفترات الماضية لتؤشر جميعها تفسيرين لظاهرة الركود الطويل للأجور (ولاسيما للعاملين من مُتلقي الاجر الاقل في الصناعات التحويلية) حيث قادت العولمة الى اغراق الاسواق بالسلع الرخيصة ولاسيما من العالم الصيني او من البؤر التكنولوجية التي يطلق عليها بالمناطق المستنزفة للعمال الصناعيين واحلال التكنولوجيا المتسارعة بشكل طارد للوظائف بدلاً عنهم والمولدة للبطالة ومن ثم ركود الاجور..

وبالرغم من ذلك، فان ركود الاجور منذ العام 1970 هي ظاهرة سبقت نهضة الصين الاقتصادية ونموها العالي، ما ينبغي ان ثمة سبب اخر جوهري ثالث لابد من التحري عنه.

ففي دراسة نشرها المكتب الوطني للبحوث الاقتصادية في الولايات المتحدة NBER تم تأشير السبب الحقيقي الثالث الذي يقف خلف ركود الاجور وعده الجاني الحقيقي وهو ما يسميه

الاقتصاديون بظاهرة: تركز سوق العمل Labour Market Concentration . اذ يتنافس عدد قليل جداً من (اصحاب العمل) على العمال انفسهم في مناطق العمل المحلية. وهو ما يطلق عليه (باحتكار قلة الشراء Monopsony) فمهما بحث العامل عن بديل للحصول على اجر مرتفع فان تركز ارباب العمل كاحتكار شراء سيفرض اجرا منخفضاً .

وبناءً على ما تقدم، وبالنظر لتمدد ظاهرة ركود الاجور لأكثر من ثلاثة عقود زمنية ، فان (العولمة) و (والاتمتة العالية التكنولوجيا) و (التركز في سوق العمل لمصلحةً اصحاب العمل) امست جميعها عوامل مشتركة مؤثرة في مسالتي (ركود الاجور واللامساواة في الدخل).

ب-في دراسة مماثلة ، قدمت في شهر ايلول /سبتمبر من العام 2021 من معهد منهاتن في الولايات المتحدة بعنوان :

Wage Stagnation and Discontents: Rethinking the Safety Net to Encourage a More Dynamic Economy.

قدم الباحث Allison Schrager دراسة بين فيها انه بغض النطر عن المقاييس المعتمدة ، فان الدخل الناجم عن الاجر لم يتزايد كما ينبغي ما جعل العاملين الامريكان يشعرون بالغالب ان ثمة وضعٍ اقتصادي بعيد عن الاستقرار وخطير في الوقت نفسه ، لذلك ذهب صناع السياسة الاقتصادية صوب التحري عن السبل اللازمة لجعل المدفوعات الأجرية اكثر اتساقا وقابلة للتنبؤ .وقد شخص Schrager من معهد منهاتن في دراسته انفاً مؤشرات كمية توضح تغير الاجور الحقيقية خلال المدة 1969-2019 من حيث العمر والجنس والتعليم . فعلى سبيل المثال وقدر تعلق الامر (بالرجال) يظهر الكاتب في دراسته الاتجاهات الاجرية ذات الاشارة السالبة خلال المدة الطويلة المذكورة انفا لمختلف الاعمار والمراحل التعليمية للعاملين من متلقي الاجور من الرجال :

اولاً: العاملون من (الرجال) ممن هم بعمر 25 الى ٣٤ عام بلغت متوسطات اجورهم خلال الاعوام الاربعين الاخيرة لتكون بالشكل الاتي :

الحاصل على (الدراسة الاعدادية) يتقاضى اجراً حقيقيا مكيف بالتضخم بلغ متوسطه (سالب 12%) . الحاصلون منهم على (الشهادة الجامعية الاولية) بلغ متوسط الاجر الحقيقي المكيف بالتضخم (سالب 17%) . والحاصلون على تعليم عالي (ما بعد البكلوريوس) بلغت معدلات اجورهم الحقيقية (سالب 3%).

ثانياً : اما العاملون من الرجال ممن هم بعمر 45 الى 54 عام فقد بلغت متوسطات اجورهم الحقيقية خلال الاعوام الاربعين الاخيرة كالاتي :

حاصل على (الدراسة الاعدادية) يتقاضى اجراً حقيقيا مكيف بالتضخم بلغ متوسطه (سالب 23%) . والحاصلون منهم على (الشهادة الجامعية الاولية) فقد بلغ متوسط الاجر الحقيقي المكيف بالتضخم (سالب 27%) . اما الحاصلون على تعليم عالي (ما بعد البكلوريوس)بلغت معدلات اجورهم الحقيقية (سالب 10%).

ثالثا: اما الرجال العاملين ممن هم بعمر 55 الى 64 عام فقد بلغت متوسطات اجورهم خلال الاعوام الاربعين الاخيرة الشكل الاتي :

الحاصل على (الدراسة الاعدادية) يتقاضى اجراً حقيقيا مكيف بالتضخم بلغ متوسطه (سالب 19%) . والحاصلون منهم على (الشهادة الجامعية الاولية) بلغ متوسط الاجر الحقيقي المكيف بالتضخم (سالب 7%) . واخيرا، الحاصلون على تعليم عالي (ما بعد البكلوريوس) فقد بلغت معدلات اجورهم الحقيقية (موجب ٤%).

ج- في حين توصل الباحث Benmelech وزملاؤه من معهد منهاتن في الولايات المتحدةً على بيانات من مكتب الإحصاء الأمريكي حول الأجور والإنتاجية من 300000 مصنع في قطاع الصناعة التحويلية في جميع أنحاء البلاد خلال الاعوام 1977 , 2019 وتوصل الى ان ما لا يقل عن 30 في المئة من تلك الأجور لم تتزايد. الا ان هده النسبة تمثل للباحثين الاقتصاديين قدرًا كبيرًا من القوة التفسيرية لظاهرة الركود الطويل للأجور.

٢- ركود الاجور وتوزيع الثروة.

بعد ان دبت في انفاسه حركة نشاط شاملة من دون ان يعصف به الغضب ظل زميلي في العمل يسألني بإصرار: كيف تفسر لي ايها الرجل الاقتصادي ان 69 بالمئة من البالغين في الولايات المتحدة الاميركية لا يدخرون حالياً سوى اقل من 1000 دولار وان 39 بالمئة منهم قاربت مدخراتهم الصفر في دولة تزدهر فيها التكنولوجيا الرقمية وتقود الثورة الصناعية الرابعة، قم علت على وجه صاحبي ابتسامة باهتة ونظرة ثاقبة وهو يتابع تفاصيل الثورة الرقمية ثم غادرني كشبح ذاب في الظلام وهو يكلم نفسه بصمت ناطق ويسترد الثقة وصفاء الذهن قائلاً : لم افهم ماذا يجري في العالم الرأسمالي اليوم فمعدل العائد على راس المال هو اكبر من معدل النمو الاقتصادي في البلدان الصناعية!!.

قلت في سري ثمة نقيضين في اللامساواة في توزيع الثروة على الصعيد العالمي لم يطرقهما زميلي في العمل ،الاول يعود الى الكاتب الفرنسي ثوماس بيكتي في كتابه الشهير راس المال في القرن الحادي والعشرين ،الصادر في باريس في العام 2013 الذي عزا حالة اللامساواة في توزيع الثروة الى ظاهرة نمو العائد الرأسمالي وتركزاته بنحو يفوق النمو في الناتج المحلي الاجمالي السنوي بسبب اختلال عملية توزيع الدخل واشتداد الاستلاب على المستوى العالمي بسبب قوة الظاهرة الريعية العالمية. في حين يرى النقيض الثاني وهو الجانب الداكن من موضوع اللامساواة بان التكنولوجيا الرقمية هي نذير شؤم وبؤس وانها ستقود العالم الى مستقبل يقتصر فيه الاجر العالي على النخب المتعلمة تعليماً متقدماً او ذات المهارات المتخصصة وهم وحدهم دون غيرهم من العاملين الذين سيتمكنون في الحصول على فرص العمل. اذ يصف الكاتب الاميركي Tyler Cowen من جامعة جورج مايسون الامريكية في كتابه الصادر 2013 والموسوم: نهاية الطبقة المتوسطة: استقواء اميركا قد تخطي عصر الكساد العظيم واصفاً كيف التهمت اميركا فاكهتها من الاغصان القريبة المتدلية عبر التاريخ الحديث او بالأحرى :كيف اعتُقلت نتائج التنمية وتمت مصادرتها من اواسط المشتغلين .هنا يقترب (تايلر كوين)من نتائج توماس بيكتي الذي شخص بان اللامساواة الحالية في الدخول تضفي بظلالها على ثروات طائلة تتوارثها قوى ربحية غير أجرية. وعلى الرغم من ذلك، فقد اشر التاريخ الاقتصادي لعصر الماكنة بان اجور المشتغلين في انكلترا والولايات

المتحدة الاميركية قد تحسنت في نهاية المطاف بنحو عشر مرات خلال المئتي عام الاخيرة (بعد استبعاد الاثر التضخمي). وكأن التكنولوجيا في عصور ما قبل الثورة الرقمية هي المسؤولة عن تعاظم المدفوعات الاجرية، في حين امست التكنولوجيا الرقمية اليوم هي المسؤولة عن تعاظم البطالة وانخفاض مستويات الاجور وركود معدلاتها. وهنا ظل زميلي في العمل يتساءل: كيف يواجه العالم ثورة المخترعات وانقضاض التكنولوجيا الرقمية على فرص العمل والاجور والتحول الى مستقبل تسوده فجوة اقتصادية عميقة بين النخبة المتعلمة الرقمية وبقية الناس؟. هنا جاءت الاجابة على لسان استاذ الاقتصاد جيمس بيسن James Bessen في كتابه الصادر عن جامعة ييل الاميركية في العام 2015 والموسوم :(التعلم اثناء العمل: العلاقة الحقيقية بين الابتكار والاجور والثروة James Bessen

Learning by Doing: The Real Connection between Innovation, Wages, and Wealth

اذ يؤشر جيمس بيسن في كتابه آنفاً مؤكداً ان نمط الاجور في آلية استقطابها او انتقالها نحو النخب العالية التعليم او المهارة في عصر الثورة الرقمية الراهن هو شيء قد مر به العالم في العصر الصناعي السابق اي عصر المكننة. كما مر العالم بفترات طويلة فشلت فيها التكنولوجيا المتقدمة كتطبيق عملي للمعرفة في توفير منافع جوهرية للطبقة العاملة، اذ ظلت الاجور الصناعية ولعقود طويلة منذُ بدء الثورة الصناعية راكدة حقاً على الرغم من ان الثورة التكنولوجية الميكانيكية وقت ذاك قد ضاعفت من انتاجية العامل الواحد.

٣- ركود الاجور وتنامي الارباح

تولدت ثروات طائلة ولكنها ذهبت الى جيوب المستثمرين وكبار المديرين والى القليل من العمال المهرة، فالأرباح تنامت واللامساواة ازدادت دون ان تحدث للعاملين مكاسب كثيرة، ولكن على الرغم من ذلك بدأ هذا الاتجاه ينعكس، اذ أخذت المدفوعات الاجرية للعمال غير الماهرين او الاقل تعليماً تتزايد بشكل جوهري وبدأ العاملون يحصلون على حصة اساسية من منافع التكنولوجيا الجديدة بسبب التعليم اثناء العمل، بغض النظر عن قوة التنظيم النقابي ودور النقابات والتنظيمات الاجتماعية في احلال عدالة التوزيع وضمان الحد الادنى للاجور. وهكذا

فثمة افتراق صارخ بين نظرية توماس بيكتي Thomas Piketty في كتابه راس المال في القرن الحادي والعشرين 2013 (الذي يعزو تراكم الثروات الطائلة بيد القلة بسبب الميول الريعية القوية في الاقتصاد العالمي كما ذكرنا سالفاً واثر ذلك على حرمان الدخل العادل وتجريده من العمال غير المهرة او الاعتياديين) وبين الكاتب جيمس بيسن 2015 الذي يعزو تراكم الثروات الى اثر التكنولوجيا على دخل العمال العاديين في توليد اللامساواة في الدخول والثروات، اذ يرى جيمس بيسن ان ركود الاجور في اوقات تعاظم الارباح بسبب التحولات التكنولوجية وانعطافاتها الحادة يسهم في توليد الثروات غير العادلة. ومع ذلك فأن تراكم الثروات لا يقيد نمو الاجور بالضرورة، ففي الماضي الصناعي حفزت التكنولوجيا الاجور بشكل مفاجئ حتى في ظل اوقات اشتداد وتعاظم حالات اللامساواة، ولكن يبقى التساؤل :كيف تؤثر التكنولوجيا في اوضاع القوى العاملة الاعتيادية؟. هنالك خلط بين التكنولوجيا والمخترعات من جهة وبين المهارة والتعلم من جهة اخرى، فالتكنولوجيا الحديثة اليوم هي بحاجة الى شيء هو اكبر من الاختراع نفسه كي يتم تصميمها وبناؤها وتشغيلها والمحافظة عليها، فقد لوحظ ان الكثير من التكنولوجيات قد تطورت خارج الفصول الدراسية في المعاهد والجامعات ولكن اثناء العمل! اذ يؤشر التاريخ الاقتصادي للصناعة ان مهارات العاملين قد اكتسبت وتطورت اثناء العمل وليس بالقاعات الدراسية بالضرورة، مما يعني ان العاملين قد حصلوا على معارفهم ومهاراتهم العملية من خلال المزج بين التدريب الرسمي والخبرة، ما ولد لديهم الكثير من المعارف التقنية خلال العمل وعلى وفق مبدأ (التعليم اثناء العمل). فالتجارب النظامية وغير النظامية سمحت للعاملين الحصول على مهارات جديدة ومعارف تكنولوجية مضافة، ففي العصر الميكانيكي السابق سمحت مهارات التعليم اثناء العمل للعاملين من ذوي التعليم المدرسي المنخفض بالحصول على اجور تماثل دخول الطبقات الوسطى. ففي بداية كل ثورة تكنولوجية جديدة، تصبح عملية اعادة تاهيل وتدريب الآف العاملين فرضية معقدة في مراحلها الاولى، فالمعارف التكنولوجية المبكرة هي شديدة التجزئة وتسودها حالة من اللايقين...وحتى يتم استيعاب صدمتها كقوة قياسية جديدة فأنها تأخذ ردحاً من الزمن.

٤-ركود الاجور: التعليم وطرازات الحياة الرقمية.

ا- طرازات الحياة ان القبول المبكر للتكنولوجيا في طرازات الحياة وانماطها أمر يجعل التعليم الجامعي كتكيف مسبق بالغ الصعوبة ...وحتى اسواق العمل نفسها هي ليست على استعداد لقبول من استثمر مجهوداته في التدريب، ولكي تقام مؤسسات السوق ويتحقق التدريب المؤثر فان الامر يأخذ اكثر من عقد من الزمن حتى ينتفع العمال العاديين من مهاراتهم التي تجاري التكنولوجيا الحديثة ويرتفع الاجر بما يتناسب والانتاجية، وهذا ما يطلق عليه: بدورة حياة التكنولوجيا. لقد دخلت التكنولوجيا الرقمية وبشكل مفاجئ بكيانات تنظيمية وتجمعات تمزج بين الريادة والابتكار والانتاج واستقطاب المهارات وهي ما يطلق عليها اليوم بـ: التغير الجذري الخلاق disruptive. وهو مزيج بين الريادة الادارية والقدرة على الابتكار والمواهب لتوليد منتجات جديدة واسواق جديدة ضمن نظام اقتصادي ايكولوجي، وبهذا غدى التغير الجذري الخلاق قوة مؤثرة قوامها مجموعات عنقودية تكنولوجية منتجة تتركز في مناطق جغرافية مثل وادي سليكون في اميركا وتنتشر حول العالم والتي اصبحت مجال خبرة موفرة لفرص العمل في التكنولوجيا الجديدة ولاسيما الرقمية منها والتي تجني اليوم ارباحاً طائلة. ب- التكنولوجيا والعمل على الرغم من ان التكنولوجيا لا تحل محل العمل ولكنها تولد طلباً على فرص عمل جديدة بمهارات جديدة، ولكن غالبية القوى العاملة لم تكن مهيئة للتكنولوجيا الحديثة وان الجامعات هي ليست الرافد الوحيد لتلك المهارات كما يعتقد الكثير، وهو الامر الذي ادى بغالبية العمال الاعتياديين بان يكونوا في حالة ركود او على حافات البطالة او القبول باجور عمل متدنية في وقت يشكو فيه ارباب العمل بانهم لا يرغبون الا بعدد محدود جداً من العمال من الذين يتمتعون بمهارات عالية. وقد اختلفت البلدان في رغبتها بتزويد العاملين بالحوافز للحصول على المعارف التقنية اثناء العمل وتمكين الاقتصاد من تحقيق مكاسب اجمالية لبلوغ القوة الاقتصادية، لقد سمح التذبذب بالرغبات في التصدي الى الدورات التكنولوجية وركود الاجور لبعض الامم بالانتفاع من التكنولوجيا الحديثة التي اخذت على عاتقها تبني سياسات ادت الى تنمية درجات عالية من الغنى وتقليل اللامساواة في الدخول والثروات. في حين انتفعت الدول الاخرى على نحو اقل ويلحظ على سبيل المثال ان الولايات المتحدة كانت من اكثر دول العالم تصدياً للدورات التكنولوجية في العصور الصناعية السابقة للعصر الرقمي

الراهن ذلك من خلال اشاعة برامج تعليمية وتدريبية واسعة، اذ عُدت اميركا بموجبها الدولة الاولى في العالم بتبني سياسات فاعلة لمواجهة الركود التكنولوجي. حيث وفرت سياسات التعليم والتدريب في الولايات المتحدة قوة عمل مؤهلة شجعت الطلب التقني الميسر لمقارعة البطالة التكنولوجية، الا ان قيام التشكيلات العنقودية الانتاجية في العصر الرقمي الراهن وولادة ما يسمى اليوم بالتغير الجذري الخلاق كما اشرنا سلفاً وعده كقوى انتاجية تكنولوجية مُحتكرة كبيرة قد زاد من مشكلات ركود الاجور مرة اخرى وعَمق ما يسمى بالدورة التكنولوجية بعد ان تغيرت السياسات نحو الاسوأ، مفضلة بذلك اقامة الشركات والمصالح الخاصة التي تبحث عن مهارات محدودة العدد بدلاً من دفع التكنولوجيات المتقدمة ومزاوجتها بقدر من تقليص اللامساواة عن طريق تحسين الاجور للعاملين العاديين من خلال برامج تطوير المهارات والتعليم اثناء العمل

٥-ختاماً، فالتلازم بين ركود الاجور

وتعاظم الارباح امسى بحاجة ماسة الى سياسات حكومية تساعد على تطوير المهارات التقنية ذات الاساس الواسع وعد هذه السياسات واحدة من البرامج الاقتصادية في تحقيق المساواة في الدخول الثروات وتقليل الفوارق الداخلية والاجرية وباتجاهين: اولهما، تطوير مهارات العاملين الاعتياديين ولاسيما التعليم اثناء العمل، وثانيهما رسم وتطوير السياسات الحكومية المتصدية للدورات التكنولوجية وتضييق مساراتها وعد مثل هذه البرامج الحكومية وسائل جديدة في السياسة الاقتصادية المتجهة نحو تحسين توزيع الدخول والثروات من خلال تقليص فترة الدورة التكنولوجية ومقاومة ركود الاجور الذي يتعرض اليه الاقتصاد العالمي.

مدركين في الوقت نفسه ، انه جرى تقديم الكثير من المقترحات لمكافحة ظاهرة الركود الطويل في الاجور ومنها رفع الحد الادنى للأجر (اذ تتولى الدراسات الراهنة بالتحقيق في كيفية تأثير رفع الحد الأدنى للأجور المحلية على درجات التفاعل بين احتكار صاحب العمل للأجور وركود الأجور نفسها) وكذلك تعظيم الضمانات الاجتماعية للعاملين ورسم سياسات واضحة في التشغيل الصناعي فضلا عن تبني ما يسمى بالدخل الاساسي الشامل- universal basic income (UBI) ، وهو مقترح لتبني سياسة تحويلات مالية يتلقى فيها جميع المواطنين من

سكان معينين منحة مالية بانتظام منصوص عليها قانونًا ومتساوية تدفعها الحكومة دون اختبار لمتوسط الموارد المالية للفرد. كما يمكن تحقيق مقترح الدخل الأساسي الشامل على المستوى الوطني أو الإقليمي أو المحلي.

وان جميع المقترحات آنفًا ،تأتي لتخفيف الضغط على القوى العاملة الأمريكية. اذ يلحظ انه جراء تجنب الكثير من الاسر في الولايات المتحدة للمخاطر جعلها تتخلف في تعظيم دخولها بسبب قبولها الحد الادنى للاجور السائدة، سواء لضعف قدرتها على الانتقال بحثاً عن الاجر المرتفع في اعمال اخرى او ان الاعمال الجديدة لا تضمن اجراً اعلى .

اضافة الى ما تقدم ،فان التغيرات الجوهرية في الاقتصاد الأمريكي اخذت تدفع باتجاه التسارع الزمني لتجديد أنظمة الامن والضمان الاجتماعي. فقد تسمح الحكومة للعمال على سبيل المثال بتعديل متوسطات اجورهم على مدى سنوات متعددة من خلال تقدير الالتزامات الضريبية المفروضة عليهم وهي واحدة من المقترحات التي تدرس حاليا. كما يمكن ان تحصل منصات العمل على مزايا افضل مثل الاجازات المرضية للعاملين والتأمين على الاجور من خلال نموذج تامين الزامي على مستوى الشركة الواحدة ما يمنع اللجوء الى الاختيارات السلبية السائدة في ظروف العمل.

(*) باحث وكاتب اقتصادي أكاديمي، المستشار المالي لرئيس الوزراء العراقي

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح باعدة النشر بشرط الإشارة الى المصدر. 14 آذار 2022

http://iraqieconomists.net/ar/